الموظف فى وظيفته

بقلم الأستاذ عبد الشافى اللبان

هناك صفات تلازم بعض المهن أو الأعمال وتصاحبها حتى لقد تصبح بمثابة القرينة منها . فالنزاهة قبل الثقافة القانونية أكبر ضمان لعدالة القاضى . والطبيب والمحامى كلاهما يعتمد قبل كل شىء على الأمانة فى الاحتفاظ بسر المهنة ليصيب النجاح فى عمله . وحتى العالم لا يعترف له الكثيرون بسمو المكانة العلمية إلا اذا اتسمت بالتواضع أعماله وتصرفاته وأقواله . وهكذا جرى القول على أن تقترن النزاهة بالقضاء، والأمانة على السر بالطب والمحاماة، وأن يصاحب التواضع العلم والعلماء .

واعتقادى أن هذه الصفات الثلاث وان كانت أقوى تعبيرا عندما ترتبط كل منها بالمهنة التى تقارنها فما أشدها كلها لزوما للموظف فى وظيفته . وما أفيدها مجتمعة فى شخص ذلك الذى يندب من بين مواطنيه لتصريف شؤونهم، وتيسير مسائلهم، والعمل على خدمتهم وحفظ حقوقهم ومصالحهم .

تعرض للموظف فى وظيفته مسائل يقف منها موقف الحكم . ويقتضية الفصل فيها المفاضلة بين رأى ورأى . وكم تلزمه النزاهة فى قراره ليصون المصلحة فيما وكل اليه من أمور عامة أو من مسائل الناس . يطلع بين الأوراق والملفات ، وفى العرض والتنفيذ ، على أسرار خاصة وعامة ما أجدره أن يتحلى بالأمانة التامة فى الاحتفاظ بها . وهو يقابل فوق ذلك ذوى المصالح ، وفيهم الكبير والصغير والقوى والضعيف ، فيهم اليتامى والأرامل والملهوفون ، وذوو الحاجات من أبناء المدن والريف ، يسمع أقوالهم وشكاياتهم بمختلف الروايات وشتى الأساليب ، وهو ولا شك مطالب بحسن استقبالهم والترفق فى معاملتهم والاحسان فى صرفهم ، وما هو فى ذلك إلا مؤد واجبات وظيفته من الخدمة العامة دون تفضل أو امتنان .

واذا كانت النزاهة فى العمل والامانة فى حفظ أسراره والتواضع فى القيام به من دعائم الوظيفة، إلا أن النجاح فيها، على اعتبار أنها قبل كل شىء عمل واجب يؤدى لمصلحة الأمة، لا يزال يتطلب من الموظف الكثير الجم من الصفات والمزايا .

الأداة الحكومية يطلب منها الاصلاح والتحسين فى المرافق العامة لا مجرد المحافظة عليها والوقوف بها عند حد معين . لذلك انتظمت هيئة الموظفين نخبة المتعلمين فى البلد . وليس واجب الموظف منهم مجرد التنفيذ العادى لأحكام القوانين واللوائح بالصدق والأمانة والتواضع،

هذا ما يجب أن يتوخاه الموظفون ، يجب أن ينظروا الى عملهم على أنه مسئولية خطيرة وألا يقدموا على تحمل هذه المسئولية قبل أن يستوثقوا من أنفسهم ، ومن ارادتهم وحبهم للعمل ومقدرتهم عليه وألا يكونوا ممن يفسرون الوظيفة الحكومية بأنها المرتب والجاه والنفوذ وذلك تفسير خاطئ يخرف بالشخص عن الحقيقة والأمانة والخلق . فاذا ما استوثقوا من أنفسهم وأقدموا على تحمل المسئولية لم يكن أمامهم إلا شيء واحد وهو الواجب وأدؤه كاملا ، والاجتهاد فيه والوصول به الى كل كمال ممكن . بذلك تصح فكرتهم عن العمل الحكومى ويتم الانسجام بين الأوضاع الجديدة التى انتقلنا اليها و بين ما يجب أن تكون عليه أفكارنا عن الحياة والعمل .

هذه هى النظرة التى يجب أن ينظر بها كل موظف إلى وظيفته . ولعل تلك الصورة هى التى تملأ نفوس المبتدئين من الموظفين وتشعل حماستهم عند بدء دخولهم فى الحياة الحكومية. على أن معالمها لا تلبث أن ينالها التحريف والتشويه فى مخيلاتهم كلما صادموا حقائق المعترك الحكومى وصهرتهم تجاربه وازدادوا خبرة بأساليب العمل فيه . وحينئذ تبدو لأذهانهم تلك الهوة الفاصلة بين ما يجب أن يكون و بين ماهو حاصل فعلا .

فى الحياة الحكومية عيوب تنال من جمال هذه الصورة قد لا يسمح الوقت بالافاضة فى بيانها لذلك أقتصر على الأساسى منها :

يتعلم الموظف فى وظيفته كثيرا من دروس الحياة . يجد من بين زملائه الموظف البخيل . و بخل الموظف ليس ذلك البخل القائم على جمع الدرهم والدينار و إنما هو نوع أخطر من ذلك بكثير . فأثره لا يقتصر على صاحبه و إنما يتعداه إلى المصلحة العمة . الموظف البخيل هو ذلك الذى يضن بتجاربه وخبرته التى كسبها بمرور الزمن على زملائه ومعاونيه . هو ذلك النوع الذى يجد و يعمل ليصح من هؤلاء الذين لا يمكن الاستغناء عنهم . ويجتهد فى أن يصور فى أذهان الوسط الذى يعمل فيه على أنه عمدته والعمود الفقرى منه ، وأنه لو تركه لانهار على رأس حافه . وهذا النوع أكثر ما يكون من بين كبار الموظفين الذين ينسون بهذا التصرف أخص واجباتهم نحو الوظيفة ونحو ما يطالبهم به الوطن من واجب إعداد الكثيرين من المعاونين والتلاميذ ليحلوا عند اللزوم محلهم و يتقدموا لحمل أعباء العمل بعدهم . و إذا كانت هذه وسيلة للبقاء والخلود فى رأيهم فانه لا يمكن أن يوافق عليها من يستمد الثقة من قيمته الذاتية و يؤمن بها كضمان لحسن السمعة والقدر.

و يتساوى فى الجرم مع الموظف البخيل زميله الجبان . و يجبن الموظف فى وظيفته مظهران : (الأول) الامتناع عن ابداء الرأى فيما يعرض من شؤون ، اتقاء للخطأ وطلبا للسلامة . و (الثانى) التهرب من المسئولية بالقائها على أكتاف الآخرين .

وإنما واجبه فوق ذلك دراسة عمله والاسترشاد فيه بروح المصلح المجدد متجها به دائما الى الكمال. وفرصة البحث والدرس والتحسين والاصلاح وإن كانت تختلف أهمية حسب درجة الوظيفة واختصاصها إلا أنها ولا شك تتاح لكل موظف فى عمله . وليس من المبالغة أن نطالب بذلك جميع الموظفين كبارا وصغارا . هذا ما يجب أن يكون وعلى هذا الوجه من الفهم ، يجب أن يدرك كل موظف واجبه. لدى الموظف من الوسائل الحكومية ما قد يعز على سواه. فالمهندس والمعلم والطبيب والقاضى والادارى والكتابى من موظفى الحكومة لديهم فرصة واسعة لإكمال أبحاثهم وانضاج معلوماتهم ولديهم جميعا وسائل الابتكار والتجديد ولا يمكن أن يكون عملهم قاصرا على أداء العمل اليومى المتكرر والا عدوا مقصرين أشد التقصير أمام وطنهم وفنهم . وخانوا واجب الوظيفة التى وكلت اليهم .

إن الوظيفة عمل للوطن و واجب قومى أول شرط فيه التحسين والتجديد والابتكار . ولم تجعل الضمانات والمزايا التى يتمتع بها الموظفون الا لتمكين الموظف من العمل وجعله قادرا نشطا فى أدائه ، شجاعا قويا فى ادراك المسئولية ومواجهتها وتحمل أعبائها ، صاحب رأى فى عمله مستعدا على الدوام للدفاع عنه والاقناع به متى أيقن من ناحية الفائدة والخير فيه . وليس للموظف مطلقا أن يرى فى هذه المزايا والحقوق ما يجعله يطمئن الى ثبات مركزه وضمان عيشه فلا يكون هناك ما يستحث عزيمته ويحرك نشاطه .

وما دمنا فى صدد حماية الموظف ومزاياه فلا بأس من أن نشير فى ايجاز الى أن هذه الحماية ، وهى كما قلت ضرورية تستدعيها طبيعة العمل الحكومى ، قد أسيئت بسبب المعالاة وسوء التطبيق نوعا من القداسة على الوظيفة جعلت غير الموظف من أصحاب الأعمال الحرة يحسدون الموظفين على سهولة عيشهم وبذلك انصرفت هممهم ومواهبهم عن مجال العمل الحر فى انتظار وظيفة حكومية .

إن أزمة التوظف كما نعلم جميعا مشكلة اجتماعية عندنا . وقد تأخرت النهضة العلمية زمنا طويلا بسبب السياسة التى كانت تنظر الى التعليم على انه مجرد اعداد موظفين للمكاتب الحكومية. وظل أثر من هذه الفكرة الخاطئة جاثما فى غير قليل من الأذهان. حتى أن الكثيرين من المتعلمين تعليما عاليا ينظرون الى الوظيفة على أنها الغاية من التعليم ويصرفون أنفسهم بعد التخرج عن أية محاولة فى الحياة الا طرق أبواب الحكومة وطلب الوظائف الحكومية مهما صغرت. مع أن تطورنا السياسى والاجتماعى ، وتغير النظم والأوضاع من حولنا ، خليق أن ينفى من أذهاننا هذه الفكرة الخاطئة وأن يجعلنا ننظر الى التعليم نظرا أسمى من ذلك وأقرب الى الحقيقة .

قد قلنا إن فى وسع الموظف أن يكون ، فى حدود عمله الحكومى مفكرا لوطنه ، عاملا على اصلاحه بالنزاهة والأمانة والتواضع والنشاط والابتكار والشجاعة فى الرأى والعمل.

وقد ينفسح المجال عند التهرب من المسئولية لعراك صامت رهيب بين الموظف والموظف سلاحه الوقيعة والدهاء والحيلة وينشط فيه سلاح آخر من أشد الأسلحة فتكا ألا وهو ما يعبر عنه فى العلاقات بين الموظفين بالمقالب ، وما المقالب إلا إتقان الدسيسة والتفنن فى حبكها وتوجيهها الى الهدف فى مرونة وسهولة وبغير ضجة لتصيب المقتل ولتعطى الفرصة للزميل ، ليتقدم ، ويرقى ، وينال الحظوة على أنقاض زميله المحطم . فما أبعد هذه المقالب وأبعد ما تخلق من حقد وضغينة وكراهية وتنافس غير مشروع عما هو واجب من علاقات الزمالة بين الموظف وأخيه وروح الأسرة الواحدة بينهما وتعاونهما فى سبيل الخير العام وتحقيق الصالح لها وللمجموع فى جو من الأخوة والصداقة الخالصة ! !

يجىء بعد البخل والجبن فى الوظيفة عيب لا يقل عنهما خطرا . ألا وهو نكر العمل . إذ يحرص كل موظف على أن يقال إنه هو الذى انتهى إليه هذا الفخر . ويدفع هذا الحرص إلى تنافس شديد بين الموظفين فى الشكليات قد يعطل العمل أو يضيع الفائدة منه .

وهناك بعد ذلك الموظف العملى الذى يقول باعطاء الوظيفة من الجهد بقدر ما يتناول من مرتب . ولست أدرى كيف يتوصل إلى إقامة العدل بمثل هذا الميزان الذى لا يسهل تمييز معالمه . ويشارك هذا الموظف فى المعانى القبيحة التى انصرف إليها تفكيره ذلك الذى كثر ادعاؤه بأنه يعطى الحكومة أكثر مما يأخذ فكلاهما قد جعل من الوظيفة العامة صفقة من الصفقات وهما قد حددا لها سعرا ارتضياه وقف احدهما عنده وشاء الثانى أن يجد فيه فرصة للادعاء والتفضل . أما الاعتبارات الوطنية العامة وواجبات البذل والتضحية فى سبيلها فمسائل لم تدخل للأسف فى هذا الحساب .

هذه عيوب لا يتسع المقام للإطالة فى الكلام عنها ولكنى وقد سردتها فى إيجاز لا أستطيع إلا أن أضع هذا السؤال : ترى هل فيها مسائل يمكن أن يعالجها كادر قديم أو جديد ؟ كادر الموظفين مسألة نظر اليها على اعتبار أنها مشكلة مالية فهل آن الأوان لاعتبارها ناحية اجتماعية جديرة بالدرس والعلاج ؟ لقد سبقنا الغير الى ذلك ، فكان حظ العامل عندهم غير حظ المهمل ، وكان حظ الأعزب غير حظ المتزوج ، وكان حظ صاحب العائلة غير حظ من لم يرزق نعمة الأولاد . فهل آن الأوان لإلقاء مثل هذه النظرة العامة على الحياة الحكومية عندنا ؟ هذا نداء أتوجه به إلى وزارة الشؤون الاجتماعية قبل وزارة المالية .

عبد الشافى اللبان